

## نظرية تسطيح العالم ما بين الانعزالية والشعبوية والانفتاح

### ■ نوح الهرموزي

#### تقديم:

لقد كتب توماس فريدمان كتاباً مثيراً للجدل تحت عنوان «العالم المسطح»<sup>1</sup>. توماس فريدمان كاتب عمود مشهور في مجال الشؤون الخارجية في صحيفة نيويورك تايمز، وم معروف كصحفي ذي توجه «ليبرالي معتدل». في هذا الكتاب يقدم توماس فريدمان قراءته عن آفاق الحرية الاقتصادية العالمية ذاهباً إلى أن العالم أصبح مسطحاً، وأن الحدود بين الدول لم تعد ذات أهمية، فالداخل بين الحدود أصبح كاملاً، وصارت كل الشعوب - بحسب الكاتب - تعيش في عالم واحد.

يبدأ أن الملاحظة الدقيقة لصيرورة وديناميكيات المجتمعات بدأت من تفتق الثورة الصناعية، وصولاً إلى اندلاع جائحة الفيروس التاجي، مروراً بالحربين العالميتين والثلاثينيات المجيدة، وصعود طروحات الدولانية Statism والشعبوية والوطنية والانعزالية تارةً،

1 - Friedman, Thomas L. **The World Is Flat: A Brief History of the Twenty-First Century**. New York: Farrar, Straus and Giroux, 2005.

■ أستاذ الاقتصاد بجامعة ابن طفيل، المغرب، ومدير المركز العربي للأبحاث.

وعودة أنصار اقتصاد السوق Free Market عقب سقوط جدار برلين، وبروز مناطق التجارة الحرة والتكتلات الإقليمية، وترحيل الخدمات outsourcing إلخ، وهي كلها دليل على التفاؤل المفرط للكاتب، وأن مجرى التاريخ لم يحسم بعد، وأن السياسات الاقتصادية الدولية لا تزال مفتوحة على جميع الاحتمالات بعد زوال الجائحة.

## 1) نظرية اقتصاد السوق مفهوم أوسع وأشمل من نظرية تسطيح العالم لتوماس فريدمان ...

### نظرية التسطيح جزء لا يتجزأ من اقتصاد السوق:

لقد تمَّ اختيار عنوان «العالم المسطح» كاستعارة مجازية لأثار العولمة التسطيحية التي تتعرض لها المجتمعات المعاصرة؛ حيث يعدّ فريدمان ظاهرة العولمة من أكثر الظواهر تأثيراً على صيرورة المجتمعات ما بعد حقبة الحرب الباردة. لكن الانضمام إلى القرية العالمية المنبثقة من العولمة ليس بالأمر السهل؛ إنه يتطلب من أمة أن ترتدي ما يسميه فريدمان «السترة الذهبية». يتمثل هذا في تبني الملكية الخاصة، والتضخم المنخفض، والحكومة المحدودة، والتجارة الحرة، وإلغاء القيود، وقابلية تحويل العملات، وتحجيم الفساد، وفتح الأسواق وما إلى ذلك. باختصار: تبني اقتصاد السوق.

يرى فريدمان أننا نعيش اليوم في عالم مسطح بوصفه عالماً تتساوى فيه الفرص لظهور من كان أكثر قدرة على التغيير، ومواكبة التقدّم العلمي والتكنولوجي، وأهم من كل هذا أن العالم الجديد يبرز من يتحلّى بشجاعة التخيل، فمن كان قادراً على التخيل يمكنه أن يبدع، ومن أبدع تَمَلَّك العالم<sup>2</sup>.

يرصد فريدمان 10 أسباب جعلت عالمنا ينتقل من العولمة 2.0 إلى العولمة 3.0 والتي كانت السبب في جعل عالمنا اليوم عالماً مسطحاً، ويطلق عليها اسم «العوامل المُسطحة للعالم»، وهي<sup>3</sup>:

Ibid.

- 2

- 3 - يوتوبيا العالم مسطح لتوماس فريدمان؛ [http://shaikha25.blogspot.com/2012/10/blog-post\\_5062.html](http://shaikha25.blogspot.com/2012/10/blog-post_5062.html)

- عامل التسطيح الأول: «عندما تهدم الجدران وتَصْعَدُ النوافذ». يقصد هنا سقوط حائط برلين سنة 1989، حيث أدى سقوطه إلى إسقاط انقسام العالم إلى قطبين، ومكّن العديد من الدول من التخلص من نظام شيوعي جعل الأغلبية «متساوية بالفقر»؛ ليتحولوا لنظام موحد جعل العالم «غير متساوٍ بالثروة». أما صعود النوافذ فيعني بها فريدمان صعود شركة مايكروسوفت التي أتت ببرنامج التشغيل Windows 3.0 بعد 6 أشهر فقط من سقوط حائط برلين، والذي ساعد على انتشار الحواسيب الشخصية.

**لقد تمّ اختيار عنوان «العالم المسطح» كاستعارة مجازية لأثار العولمة التسطّحية التي تتعرض لها المجتمعات المعاصرة؛ حيث يعدّ فريدمان ظاهرة العولمة من أكثر الظواهر تأثيراً على صيرورة المجتمعات ما بعد حقبة الحرب الباردة.**

- عامل التسطيح الثاني: «عندما بدأت الشبكة بالتفرع»، الشبكة التي يقصدها توماس فريدمان هنا هي الشبكة العنكبوتية، التي أتت بها عالم الحواسيب البريطاني تيم بيرنرز لي، ولقد صمم أول موقع إلكتروني مرفق بالشبكة العنكبوتية سنة 1990، هذا العامل ساعد كل من امتلك حاسوباً شخصياً بأن يتمكن من مشاركة ما يؤدّ قوله حول العالم ولكنه احتاج متصفح انترنت ليتمكن من البحث عن هذه الملفات والمواقع الإلكترونية، وهكذا ظهر أول معالج بحث في العالم، مما سهل عملية التعامل مع النت ونقلنا خطوة نحو العالم المسطح.

- عامل التسطيح الثالث: «تدفّق برامج العمل». في السابق كان الشخص الذي يستخدم برنامج تشغيل a مثلاً لا يمكنه أن يتصل بمن يستخدم برنامج b إلى أن أتت برامج العمل، وأعطت مقدرة للحواسيب بأن «تتكلّم» بعضها مع بعض. ما أدى لخلق منصة على حدّ تعبير فريدمان؛ أي رصيف يسمح للأعمال بأن تزدهر وأن تتدفق من كل أنحاء العالم إلى كل أنحاء العالم.

- عامل التسطيح الرابع: «التحميل uploading». يقصد بالتحميل هنا المقدرة على إرفاق ما تنتجه كمبرمج أو مصور أو مخرج أو كاتب إلخ.. ضمن موقع إلكتروني معين دون تكبد أي تكلفة، ولا يتطلب الأمر كونك متمرساً وخبيراً في أمور الحاسوب.



- عامل التسطيط الخامس: outsourcing. والمقصود منه هو أن تقوم الشركة - بحسب عقود معينة - بالاستعانة بخدمات مقدّمة من قبل مزود خارجي. فيمكن أن تستعين شركة ما بمزود خارجي ليؤدي لها خدمة الاتصال بالعملاء عبر مراكز الاتصال؛ لأن بناء قسم خاص بالردّ على المكالمات الهاتفية خاص بالشركة يكلفها أكثر من الاستعانة بالمصدر الخارجي. لذا نرى الشركات تتجه نحو هذا النوع الجديد من العمل؛ وذلك بهدف خفض التكاليف بغض النظر عن المصدر. فإحدى الشركات استخدمت ربات البيوت في المنزل كمزود خارجي يمدّها بخدمة الإجابة على العملاء، بينما ذهب بعضها لترحيل الخدمة لبلد مثل الهند والصين بهدف الاستفادة من الأجور الزهيدة هناك.

- عامل التسطيط السادس: «الانتقال لما وراء الشواطئ offshore» الركن كالفزلان والأكل كالأسود». يقصد بها قدرة صاحب المشروع في أي مكان بأن يستفيد من العمليات الإنتاجية والصناعية الزهيدة في دول أخرى؛ وذلك بحثاً عن التكلفة المنخفضة. فريدمان يعتقد بأنه بعد دخول الصين في منظمة التجارة العالمية WTO في سنة 2001، وبعد أن تتخطى بعض العقوبات السياسية ستكون بمثابة الأسد، وعلى الجميع الركن؛ لكيلا يتم قتله على يد هذا العملاق الاقتصادي. فعلاصة «صنع في الصين» اليوم مؤشّر على توجه أعداد كبيرة من المستثمرين حول العالم إلى الصين؛ بحثاً عن المصنع الرخيص والأيدي العاملة الرخيصة.

- عامل التسطيط السابع: «سلاسل التوريد Supply Chains». لتوضيح هذا العامل يضرب لنا فريدمان مثلاً على ما يحدث في شركة المخازن المحدودة وول مارت Wal-mart؛ فالمنتجات تصل لبوابات الشركة داخل صناديق مختلفة الأحجام، يتم فرزها بواسطة أشعة حمراء لقراءة شفرة المنتج، ثم بواسطة آلات وأذرع صناعية يتم توزيع المنتجات على رفوف الشراء، وعندما يأتي المستهلك ويحمل أحد هذه المنتجات؛ فإن الشفرة تعطي إشارة للبلد المصنع الذي قد يكون الصين أو الهند أو أي دولة أخرى؛ لتقول لها بأن هنالك طلباً على هذا المنتج، لذا الرجاء إعادة صنعه وتصديره

«لـوول مارت» مرةً أخرى. هكذا نرى بأن هنالك سلسلة توريد مترابطة؛ لأن الصين ستطلب هي أيضاً مواد خام لإعادة صنع المنتج المطلوب، وفي نهاية اليوم المنتج الذي تمّ شراؤه في الأمس سيحلّ محله منتج جديد اليوم بسبب هذه القدرة على الترابط.

- عامل التسطيح الثامن: insourcing، هي عكس الـ outsourcing؛ فإذا كانت الأولى تعني اقتراض خدمة معينة من قبل مصدر خارجي؛ فالـ insourcing تعني إقراض الخدمة من أجل طرف خارجي. لقد فوضت شركة توشيبا Toshiba المصنعة لأجهزة الحاسوب النقال - على سبيل المثال -

خدمة إعادة إصلاح منتجاتها لكـ ups (شركة خدمة الطرود المتحدة) وهي عبارة عن شبكة توريد كبيرة، تقوم بمختلف الخدمات، من إيصال البريد إلى إيصال طلبات المطاعم الخارجية، كما تقوم كذلك بتوفير خدمة إصلاح أجهزة التوشيبا المعطّلة.

- عامل التسطيح التاسع: الإعلام Informing، ويقصد بها فريدمان القدرة على التزود بالمعلومات في أي وقت بخصوص أي أمر بفضل محركات البحث مثل غوغل Google وياهو Yahoo. مكّنت هذه الخاصية العالم من أن يكون أكثر تسطيحاً.

- عامل التسطيح العاشر: المنشطات steroids. يقصد بها الأجهزة الشخصية الحديثة مثل الهواتف النقالة الحديثة المزودة بخاصية الاتصال عبر الإنترنت، وأجهزة الأيبود، والمذكرات الشخصية... أسهمت كل هذه الأجهزة في تسهيل حياة العديد من الناس حول العالم.

يشير الكاتب بصورةٍ رئيسيةٍ إلى اندثار التضاريس الفاصلة بين الأجزاء المختلفة المشكلة للعالم المعاصر، بما يجعله منكشفاً على جهاته المتعددة؛ أي بما يحيله إلى ساحةٍ مشابهةٍ لملاعب كرة القدم، حيث يمكن لمن يقف في

«الانتقال لما وراء الشواطئ offshoring الركض كالغزلان والأكل كالأسود». يقصد بها قدرة صاحب المشروع في أي مكان بأن يستفيد من العمليات الإنتاجية والصناعية الزهيدة في دول أخرى؛ وذلك بحثاً عن التكلفة المنخفضة.



أقصى حدوده الجغرافية أن يشارك - وبفعالية - في «اللعبة» المتأرجحة بين المتعة والخطر. هذه العوامل الـ 10 ساعدت على تسطيح العالم، الكل أصبح نظيراً للكل بحسب وجهة نظر فريدمان. ساعدت التكنولوجيا على تحجيم المسافات وتنمية الوعي لدى مواطني العالم؛ فالمنافسة قادمة، والفرصة سانحة - بحسب الكاتب - لأي دولة لأن تقوم باعتلاء قمة العالم<sup>4</sup>.

قام فريدمان في هذا الكتاب بإعادة صياغة الفكرة المستنبطة من أدبيات اقتصاد السوق التي تفسّر سلوك الدولة الصراعي والتعاوني، ويسمّيها The Dell Theory of Conflict Prevention؛ لتفسير أحد سمات العالم المسطح. لقد توصل لهذه النظرية من خلال رصد كل العمليات التصنيعية التجارية التي تمّت من أجل صناعة جهاز الحاسوب الذي استخدمه لطباعة كتابه، وهو من نوع Dell، وهذا ما يفسر سبب تسميتها بـ The Dell Theory. إنها النسخة المُطورة من نظرية فريدمان التي قدمها سنة 1999 والمسمّاة نظرية ماكدونالدز. والتي تفيد بأن الدول التي تمتلك فرعاً لسلسلة مطاعم ماكدونالدز الشهيرة لا تدخل - بحسب الكاتب -، في حرب مع دولة أخرى تمتلك فرع ماكدونالدز<sup>5</sup>. أما بالنسبة لـ Dell Theory فتقول بأن دولتين تشكلان جزءاً من سلسلة التوريد العالمية الكبرى، مثل شركة Dell، لن تخوضا حرباً ضد بعضهما البعض طالما أنهما جزء من سلسلة التوريد العالمية نفسها<sup>6</sup>. إنها الفكرة الشائعة بأن العولمة من المرجح أن تؤدي إلى مزيد من السلام.

كل هذه المعطيات - بالإضافة إلى عوامل التسطيح العشرة التي ذكرها توماس فريدمان في كتابه - هي عبارة عن نتائج مباشرة لديناميكية اقتصاد السوق. ما يظهر لنا أن نظرية التسطيح هي جزء لا يتجزأ من اقتصاد السوق وليس بديلاً عنه.

<https://www.nytimes.com/2005/04/03/magazine/its-a-flat-world-after-all.html>

- 4

<https://www.nytimes.com/1996/12/08/opinion/foreign-affairs-big-mac-i.html>

- 5

The World is Flat, Thomas L. Friedman, pg 421.

- 6

## 2) ولكن اقتصاد السوق أكثر شمولاً ورحابة

### اقتصاد السوق واختلاف أطيافه

يعدُّ اقتصاد السوق نظاماً اقتصادياً تسترشد فيه القرارات المتعلقة بالاستثمار والإنتاج والتوزيع بإشارات الأسعار التي تنشئها قوى العرض والطلب، وتتمثل السمة الرئيسية لاقتصاد السوق في وجود عوامل تلعب دوراً مهماً في تخصيص رأس المال وعوامل الإنتاج.

تتراوح اقتصاديات السوق من أنظمة السوق الحرة التي لا تخضع إلا لقيود تنظيمية بسيطة، حيث يقتصر نشاط الدولة على توفير الأمن وحماية

الملكية الخاصة، وهذا ما يسمى بـ(الدولة الحارسة) - إلى أشكال تدخلية أخرى؛ حيث تلعب الحكومة دوراً نشطاً في تصحيح ما يسطح عليه بإخفاقات السوق، وتعزيز الرفاهية الاجتماعية في الاقتصاديات الموجهة من قبل الدولة (الدولة التدخلية أو دولة الرعاية). في هذه الاقتصادات تلعب الدولة دوراً مركزياً في توجيه التنمية الشاملة للسوق من خلال السياسات الصناعية أو التخطيط الإرشادي، والذي يحل محل السوق للتخطيط الاقتصادي، وهو الشكل الذي يشار إليه أحياناً باسم الاقتصاد المختلط.

**تتراوح اقتصاديات السوق من أنظمة السوق الحرة التي لا تخضع إلا لقيود تنظيمية بسيطة، حيث يقتصر نشاط الدولة على توفير الأمن وحماية الملكية الخاصة، وهذا ما يسمى بـ(الدولة الحارسة)، إلى أشكال تدخلية أخرى.**

بعيداً عن التجاذبات السائدة وسط الاقتصاديين يُجمع دعاة اقتصاد السوق على نجاعته، وقدرته على تحقيق الرفاه في المحصلة، وذلك من خلال اعتماده على حرية حركة الأفراد والسلع والخدمات ورؤوس الأموال والأفكار.

### التسطيح بالمفهوم الفريدماني هو في الواقع نتاج اعتماد وتفاعل قوى السوق

إن اقتصاد السوق أكثر شمولاً وألية ممكنة لبروز التسطيح الاقتصادي عبر الديناميكيات، التي تمكّن الأفراد والجماعات والمنظمات من التبادل



الطوعي في غياب إكراهات الدولة المركزية. ويقدم توماس فريدمان أمثلة لدول مثل الهند والصين من أجل دعم نظرية التسطيح، مفسراً أسباب تطور هذه الدول الاقتصادي في السنوات الأخيرة، إنه تطور يجد أصله في الإصلاحات الاقتصادية الجذرية التي عرفتها هذه البلدان في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي، وذلك عقب انتقالها من دول اشتراكية - حيث تدير الدولة الاقتصاد بطريقة مركزية - إلى اقتصادات السوق، التي تعمل بديناميكية وحرية دون تدخل حكومي مفرط.

في الصين - بعد الكوارث الاقتصادية والبؤس والمعاناة التي عاشتها الصين تحت حكم ماو تسي تونغ الاشتراكي - جاء الرئيس دينغ شياو بينغ (القائد الأعلى من 1978 إلى 1989) من أجل تركيز جهود الصين على النمو الاقتصادي، وإيجاد نظام اقتصادي متوافق مع خصائص الصين. رغم بقائه ملتزماً بالنموذج اللينيني للسيطرة السياسية المركزية ودولة الحزب الواحد. إلا أنه أدخل إصلاحات اقتصادية جذرية في الصين. تميّزت فترته بانتقال الصين من اقتصاد اشتراكي تخطيطي إلى اقتصاد السوق. ضمن هذا النموذج، أصبحت الشركات المملوكة للقطاع الخاص مكوناً رئيسياً من النظام الاقتصادي الصيني. أدت هذه الإصلاحات الأولية إلى خصخصة القطاع الزراعي وفتح الاقتصاد أمام الاستثمار الأجنبي في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات، وقادت في وقت لاحق إلى إصلاحات جذرية واسعة النطاق، بما في ذلك تحويل قطاعات الدولة العامة إلى شركات خاصة، وتم القيام بخصخصة جزئية لبعض الشركات، وتحرير التجارة والأسعار.<sup>7</sup> بحلول نهاية التسعينيات الصين أصبحت بشكل أساسي ذات اقتصاد سوق، قبل أن تنضم إلى منظمة التجارة العالمية في سنة 2001 في الألفية الجديدة، لتعرف نموّاً اقتصادياً لا مثيل له، وتصبح أكثر اندماجاً مع الاقتصاد العالمي. مع إصلاحات دنغ شياو بينغ ارتفع الناتج المحلي الإجمالي للصين من حوالي 150 مليار دولار أمريكي في سنة 1978



إلى أكثر من 1.6 تريليون دولار أمريكي في سنة 2004، بزيادة سنوية قدرها 9.4%<sup>8</sup>.

في الهند شكلت الاشتراكية السياسات الاقتصادية والاجتماعية الرئيسية للحكومة الهندية منذ الاستقلال حتى أوائل التسعينيات، عندما انتقلت الهند نحو اقتصاد قائم على السوق. لقد استجاب الاقتصاد الهندي بقوة لبرنامج الاستقرار والإصلاح الذي بدأ في سنة 1992. عندما بدأ الركود العالمي في أواخر السبعينيات أصاب الركود الاقتصادي والنقص المزمن وعدم كفاءة الدولة الكثيرين بخيبة أمل في اشتراكية الدولة. في أواخر الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي بدأت

**بحلول نهاية التسعينيات  
الصين أصبحت بشكل  
أساسي ذات اقتصاد سوق،  
قبل أن تنضم إلى منظمة  
التجارة العالمية في  
سنة 2001 في الألفية  
الجديدة، لتعرف نمواً  
اقتصادياً لا مثيل له،  
وتصبح أكثر اندماجاً  
مع الاقتصاد العالمي.**

حكومة الهند في تحرير الاقتصاد الهندي بشكلٍ منهجي، والتحوّل لتبني اقتصاد السوق من خلال متابعة الخصخصة، بهدف جذب الاستثمار الأجنبي. وقد اتخذت الحكومة الهندية في هذه الفترة إجراءات جذرية، بما في ذلك تخفيض قيمة العملة، وفرض أسعار فائدة أعلى، ورفع القيود المالية والنقدية، والانفتاح على التجارة. تمّ إدخال تدابير طويلة الأجل أدت إلى إزالة حماية الصناعة والتجارة الهندية من المنافسة الدولية. نتيجة لهذه الإصلاحات - مثلها مثل الصين - أصبحت الهند أحد أبرز القوى الاقتصادية التكنولوجية والصناعية في عالمنا اليوم.

فالدرس المستخلص من هذين المثالين - اللذين بنى توماس فريدمان عليهما نظريته التسطيعية للعالم - هو أن اقتصاد السوق كان له الدور المحوري في جعل الصين والهند تصبحان أحد أهم الدول إسهاماً في تسطيع العالم والعولمة الاقتصادية، التي كانت نتيجة جزئية من اقتصاد السوق، الذي يعدّ أكثر شمولاً ورحابة.

8 - Minister of the National Development and Reform Commission Ma Kai said on July 12 - 2005 at a high-level reform forum in Beijing.

### 3) ولكن المفهومين ليسا حتمية تاريخية؛ بل يخضع العالم لديناميكية تسطيح ومدّ تارةً، وجزر واضطراب تارةً أخرى: فترات التسطيح/ وفترات الاضطراب:

#### - ما قبل الحرب:

بدأت الثورة الصناعية، في القرن الثامن عشر، مسجلة عملية بالغة الكثافة في التصنيع والإنتاج، الأمر الذي عزز الصناعة وشجع الاختراعات والابتكارات الجديدة. مثلت الثورة الصناعية نقطة تحوّل رئيسة في تاريخ البشرية. تقريباً كل جانب من جوانب الحياة اليومية تأثر بطريقةٍ ما. على وجه الخصوص، عندما بدأ متوسط دخل السكان في إظهار نموٍ مستدام غير مسبوق. قال بعض الاقتصاديين: إن أهم تأثير للثورة الصناعية هو أن مستوى المعيشة لعامة السكان في العالم الغربي بدأ في الارتفاع باستمرار لأول مرةٍ في التاريخ.

بدأ النمو الاقتصادي السريع يزداد بعد سنة 1870؛ نتيجة لمجموعة جديدة من الابتكارات فيما يسمى بالثورة الصناعية الثانية. تضمنت هذه الابتكارات عمليات تصنيع الصلب الجديدة، والإنتاج الضخم، وخطوط التجميع، وأنظمة الشبكة الكهربائية، والتصنيع على نطاقٍ واسعٍ للأدوات والآلات، واستخدام الآلات المتقدّمة بشكلٍ مزدادٍ في المصانع التي تعمل بالبخار. مما أدى لظهور شركات ضخمة عالمية في أمريكا ودول أوروبية أخرى.

#### - الدولانية الصفقة الجديدة New Deal / الثلاثينيات المجيدة:

شهد العالم تغييراً وتطوراً كبيرين في فترة ما قبل الحرب، التي جاءت وقلبت المعادلة، حيث أقامت الأسواق الخارجية صناعاتها التحويلية الخاصة وانتشرت الحرب والانعزالية، مما أدى لظهور اضطراب في الأوضاع العالمية. أدت السياسات الاقتصادية التدخلية بعد الحرب إلى خلق أحد أكبر الأزمات الاقتصادية في تاريخ البشرية، وهو ما يُعرف بالكساد الكبير في سنة 1929.

بعد هذه الفترة برزت قوى أخرى أخذت زمام الأمور الاقتصادية، وهذه القوى هي الحكومات الضخمة التدخلية، التي حاولت تصحيح «اختلالات»

اقتصاد السوق من خلال تدخل الحكومة في الاقتصاد، وأبرز السياسات المتخذة في هذا المنحى هي الصفقة الجديدة New deal بزعامة الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت.

كانت الصفقة الجديدة عبارة عن سلسلة من البرامج والمشاريع التي أنشأها الرئيس فرانكلين روزفلت خلال فترة الكساد الكبير، والتي تهدف إلى إعادة الرخاء للأمريكيين. عندما تولى روزفلت منصبه في سنة 1933 سعى لتحقيق الاستقرار في الاقتصاد، وتوفير الوظائف والمساعدات للمحتاجين، وعلى مدى السنوات الثماني التالية أنشأت الحكومة سلسلة من المشاريع والبرامج

**بعد الحرب العالمية الثانية عرف العالم فترة ازدهار ونمو اقتصادي كبير، تُعرف اليوم باسم الثلاثين المجيدة التي تشير إلى الفترة بين 1945 و1975، التي شهدت خلالها أغلب الدول المتقدمة عموماً نمواً اقتصادياً كبيراً.**

الاجتماعية. لقد غيّرت صفقة روزفلت الجديدة - بشكل جذري ودائم - دور الحكومة الفيدرالية الأمريكية، من خلال توسيع حجمها ونطاقها، وخاصة دورها في الاقتصاد.

بعد الحرب العالمية الثانية عرف العالم فترة ازدهار ونمو اقتصادي كبير، تُعرف اليوم باسم الثلاثين المجيدة التي تشير إلى الفترة بين 1945 و1975، التي شهدت خلالها أغلب الدول المتقدمة عموماً نمواً اقتصادياً كبيراً. هذه التغييرات كانت جزئياً نابعة عن الازدهار الذي

كان نتيجة نظام عالمي مستقر - نظام دولي يقوده الأمريكيون - حيث تمّ تنفيذ استثمارات كبيرة لإعادة بناء الاقتصادات الوطنية التي تضررت من الحرب. كانت الثلاثين المجيدة بمثابة ثورة جلبت معها تغييرات اقتصادية واجتماعية ضخمة، حيث سجلت انتقال أوروبا، 40 سنة بعد الولايات المتحدة، إلى مجتمع استهلاكي، كما عرفت دول كإيطاليا وألمانيا وكندا واليابان أيضاً نمواً اقتصادياً كبيراً، وذلك عبر الاستثمار والاستهلاك.

تميّزت هذه الفترة بإعادة بناء اقتصاد دمرته الحرب إلى حدّ كبير، والعودة إلى حالة توظيف كامل في أغلب الدول المتقدمة، بنسبة بطالة شبه



منعدمة، ونموً قوي للإنتاج الصناعي، ونموً ديموغرافي كبير في بعض الدول الأوروبية والشمال أمريكية (خاصة في فرنسا وألمانيا الغربية والولايات المتحدة وكندا). وقد سهل النمو الكبير هذا بدوره الحصول على الطاقة بصفة عامة، وخاصة الوقود الأحفوري، وكذلك على تدارك تكنولوجيا لعدد من الدول.

### - الصدمة البترولية الثانية وبروز الركود التضخمي:

في أعقاب الثورة الإيرانية التي اندلعت في سنة 1979 عرف العالم أزمة النفط الثانية. أدت الاحتجاجات إلى شلل قطاع النفط الإيراني، مما أدى إلى الارتفاع الصاروخي لأسعار النفط عالمياً، وذلك على الرغم من قيام السعودية ودول أخرى في أوبك بزيادة الإنتاج لتعويض الانخفاض. أدت أزمة الطاقة هذه إلى نشر حالة من الذعر على نطاق واسع بشأن النقص المحتمل في البنزين. انخفض إنتاج النفط بنسبة 7% فقط أو أقل؛ لكن انقطاع الإمدادات على المدى القصير أدى إلى ارتفاع الأسعار، والطوابير الطويلة في محطات الوقود.

لقد أدت الصدمتان البتروليتان إلى ظهور ظاهرة اقتصادية غير مسبوقة، أثارت فترة من الركود التضخمي - أو النمو البطيء مع الارتفاع السريع في الأسعار - تساؤلات حول العلاقة المفترضة بين البطالة والتضخم. تمت صياغة مصطلح الركود التضخمي لأول مرة بسبب فترة التضخم والبطالة التي انتشرت في المملكة المتحدة؛ حيث شهدت المملكة المتحدة ارتفاعاً في نسبة التضخم في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، وفشل صانعو السياسة في المملكة المتحدة بتمييز الدور الأساسي للسياسة النقدية في السيطرة على التضخم.

حتى السبعينيات اعتقد العديد من الاقتصاديين أن هناك علاقة عكسية مستقرة بين التضخم والبطالة، كانوا يعتقدون أن التضخم يمكن تحمله؛ لأنه يعني أن الاقتصاد ينمو، وأن البطالة ستكون عند مستويات منخفضة. كان اعتقادهم العام هو أن الزيادة في الطلب على السلع تؤدي إلى ارتفاع الأسعار، وهو ما يشجع بدوره الشركات على التوسع وتوظيف موظفين إضافيين، مما

يخلق طلباً إضافياً في جميع أنحاء الاقتصاد؛ إلى أن انتشر الركود التضخمي في الفترة بعد فترة الثلاثين المجيدة، وقلب الحكمة الاقتصادية السائدة آنذاك التي تميّزت بالتدخل الحكومي في الاقتصاد.

لم يقتصر التضخم المصحوب بالركود التضخمي على المملكة المتحدة. أظهر الاقتصاديون أن التضخم المصحوب بالركود كان سائداً بين معظم الاقتصادات الكبرى الرئيسة من سنة 1973 إلى سنة 1982، ما أدى إلى مساهلة نجاعة دور الدولة في الاقتصاد وعودة الطروحات الليبرالية إلى الواجهة.

#### - فترة ريغان وثاتشر وعودة الطروحات الانفتاحية:

حتى السبعينيات اعتقد العديد من الاقتصاديين أن هناك علاقة عكسية مستقرة بين التضخم والبطالة، كانوا يعتقدون أن التضخم يمكن تحمله؛ لأنه يعني أن الاقتصاد ينمو، وأن البطالة ستكون عند مستويات منخفضة.

نتيجة الاضطرابات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المنتشرة في الستينات والسبعينات من القرن 20م؛ انتقل الخطاب السياسي واهتمامات الناس إلى البحث عن زعماء رأسماليين منفتحين، يحترمون دول الحد الأدنى، وينبذون تدخل الحكومات في الاقتصاد، وكان ذلك عقب فترة حكم ريغان وثاتشر في أمريكا وبريطانيا.

قاما رونالد ريغان ومارغريت ثاتشر بإحداث ثورة في الفكر والسياسة في كل من الشؤون الاقتصادية والخارجية. وكان انهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي السابق أيضاً نتيجة لسياساتهما.

سعى ريغان - من خلال سياسته الليبرالية - إلى تحقيق أربعة أهداف اقتصادية رئيسة حين تولى منصبه في سنة 1981: الحد من التضخم، خفض معدلات الضرائب الشخصية المرتفعة، تقليص حجم الحكومة، والحد من القيود التنظيمية المفروضة على القطاع الخاص. ولقد هبطت معدلات التضخم بسرعة، من أكثر من 10% في سنة 1981 إلى أقل من 4% في سنة 1983؛ وذلك لأن ريغان سارع إلى دعم السياسات النقدية المحكمة التي



اقترحها رئيس مجلس الاحتياطي الفيدرالي آنذاك بول فولكر، والتي كانت من أسباب الركود التضخمي في الولايات المتحدة الأمريكية. نجحت إدارة ريغان في خفض الإنفاق الحكومي، والحدّ من القيود التنظيمية المفروضة على نطاقٍ واسعٍ من الصناعات، بما في ذلك النقل الجوي، والقطاع المالي.

حين تولت مارغريت ثاتشر رئاسة وزراء بريطانيا في سنة 1979 وجدت نفسها في مواجهة اقتصاد يعاني مشاكل جوهرية أضخم كثيراً من تلك التي كانت تواجه الولايات المتحدة في الوقت نفسه؛ ذلك أن الاقتصاد البريطاني كان أكثر خضوعاً للعوامل الاجتماعية، وكان ذلك واضحاً في الملكية الحكومية الواسعة النطاق للمرافق والشركات وسيطرتها عليها. ولقد خصصت ثاتشر الصناعات الكبرى التي كانت مملوكة للحكومة، وباعت الإسكان المملوك للحكومة للمستأجرين، فكسرت من خلال ذلك شوكة النقابات المهنية والعمالية بعد فترة طويلة من الإضرابات الوطنية المؤلمة، وأثناء فترة ولايتها كرئيسة للوزراء انخفض الحد الأعلى للضريبة على الأجور إلى النصف، ومن أجل مواجهة مستويات التضخم المرتفعة ساندت ثاتشر نهجاً نقدياً يؤيد رفع أسعار الفائدة، ونجحت في خفض مستويات التضخم بشدة. واليوم أصبح لدى بريطانيا بنك مركزي مستقل لا يتجاوز مستوى التضخم الذي يستهدفه 2%<sup>9</sup>.

ولم يقتصر تبني هذه السياسات الليبرالية على أهم عاصمتين في العالم فقط؛ بل سرعان ما انتشر تبنيها في عواصم أخرى؛ مثل نظام بينوشيه في تشيلي، وأوزال في تركيا، وسوهارتو في إندونيسيا، بل ويعتقد كثيرون أن مهندس نهضة الصين الحديثة دينغ شياو بينغ كان من المعجبين بهذا الفكر الاقتصادي وطبق بعض مبادئه. وسيطر هذا الفكر الاقتصادي على ساحة الاقتصاد العالمي خلال العقود الأربعة الماضية؛ أي منذ أواخر سبعينات القرن العشرين حتى بدء الأزمة المالية العالمية في أواخر سنة 2008، لتعود أفكار كينز والدولة التدخلية إلى البروز بشكلٍ كبيرٍ في الساحة الاقتصادية والسياسية العالمية.

## - أزمة الرهون العقارية وعودة الدولة:

تُعدُّ الأزمة المالية في سنة 2008 أسوأ كارثة اقتصادية منذ الكساد الكبير في سنة 1929. أدت الأزمة إلى ركود كبير، حيث انخفضت أسعار المنازل أكثر من انخفاض الأسعار خلال فترة الكساد الكبير. بعد عامين من انتهاء الركود، كانت نسبة البطالة لا تزال أعلى من 9%، ثم أعقب ذلك أيضاً اندلاع أزمة الديون السيادية الأوروبية، التي بدأت بالعجز الكبير في اليونان في أواخر سنة 2009، والأزمة المالية الأيسلندية في الفترة ما بين 2008 - 2011، والتي اندلعت بعد إفلاس البنوك الثلاثة الكبرى في أيسلندا. أزمة أدت إلى خسارة أكثر من 2 تريليون دولار من الاقتصاد العالمي.

**تُعدُّ الأزمة المالية في الولايات المتحدة في سنة 2008 أسوأ كارثة اقتصادية منذ الكساد الكبير في سنة 1929. أدت الأزمة إلى ركود كبير، حيث انخفضت أسعار المنازل أكثر من انخفاض الأسعار خلال فترة الكساد الكبير.**

نتيجةً لهذه الأزمة خرجت الحكومات في مختلف العالم بقرارات تدخلية في القطاع الاقتصادي والمالي من أجل تصحيح الاختلالات، كانت تدخلات الحكومة خلال أزمة الرهن العقاري رداً على أزمة الرهن العقاري الثانوي 2007 - 2009، وأسفرت عن مجموعة متنوعة من عمليات الإنقاذ الحكومية، التي تمّ تنفيذها لتحقيق الاستقرار في النظام المالي خلال أواخر سنة 2007 وأوائل سنة 2008.

تدخلت الحكومات في الولايات المتحدة

والمملكة المتحدة والعديد من دول أوروبا الغربية؛ مثل بلجيكا وفرنسا وألمانيا وأيرلندا ولوكسمبورغ وهولندا. بالإضافة إلى ذلك تمّت مناقشة الإصلاح العالمي للصناعة المصرفية للحدّ من المضاربة، وشملت هذه الإجراءات فرض ضريبة كبيرة على علاوات المصرفيين وعلى المعاملات المالية.

هذه التدخلات الحكومية المختلفة لتحقيق الاستقرار في الاقتصاد أدت إلى نقاشات حادة، وخلافات حول فوائد نظام السوق الحر، ودور الحكومة في الاقتصاد. يؤكد العديد من الاقتصاديين وخبراء الأعمال أن التدخل الحكومي



تسبب في الأزمة المالية الأخيرة، وأدى إلى إطالة أمدها؛ ومع ذلك فإن مؤيدي الاقتصاد الكلي الكينزي (التدخلي) يجادلون بأن التدخل الحكومي النشط في السوق والسياسات النقدية كان ضرورياً لاحتواء الأزمة. أدى هذا إلى بروز مرةً أخرى الصراع الفكري القديم بين رواد دولة الحد الأدنى ورواد الاقتصاد الكينزي التدخلي، وما بين ديناميكية التسطيح والاضطراب.

## كما أن عالم اليوم يشهد جيلاً جديداً من سياسات التسطيح / وعوامل الاضطراب

صعود جيل جديد من الانعزالية والشعبوية: الديمقراطيات غير الليبرالية (ترامب/ مودي/ أوربان...)

نتيجةً للبؤس الاقتصادي والاجتماعي الناتج عن هذه الأزمة المالية الحادة تحول السخط الشعبي على النظام السياسي والاقتصادي الحالي إلى الاصطفاف وراء أفكار وأحزاب شعبية انعزالية وحمائية، كل هذا أسهم في صعود أحزاب ديمقراطية غير ليبرالية؛ حيث بدأت معظم هذه الأحزاب بالضغط من أجل تغيير الدساتير والقوانين الليبرالية التي تقوم عليها هذه البلدان.

قامت صحيفة الغارديان بإجراء دراسة لخطب ما يقرب من 140 من قادة العالم. تحدد البيانات الخطاب الشعبي للزعماء في أكبر البلدان في أوروبا والأمريكيتين، وكذلك الهند. صنف الباحثون خطاباتهم على مقياس من 0 إلى 2، تتراوح من غير الشعبوية إلى شعبية للغاية. تضاعف متوسط درجات الشعبوية في جميع البلدان الأربعة من 0.2 في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين إلى حوالي 0.4 اليوم. كما تضاعف عدد البلدان التي يصنف زعماءها على أنهم شعبيون «إلى حد ما» على الأقل بدرجة 0.5 وما فوق في تلك الفترة، من سبعة في سنة 2004 إلى حوالي 14 في السنوات الأخيرة.

في حين أن العديد من البلدان في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين كان يديرها قادة شعبيون معتدلون على الأقل، كان معظمها دولاً صغيرة مثل الإكوادور ولاتفيا وباراغواي وكرواتيا. أما اليوم فالقائمة تضم عدة دول كبيرة،



مثل تركيا والمكسيك والبرازيل والهند وروسيا والولايات المتحدة. نتيجة لذلك ارتفع عدد الأشخاص الذين يعيشون في بلد بقيادة زعيم شعبي «إلى حد ما» على الأقل من 120 مليوناً منذ 17 سنة إلى أكثر من ملياري شخص اليوم.<sup>10</sup>

منذ نصف عقد الآن وجدل عام يسود في الولايات المتحدة وأوروبا وأميركا الجنوبية وحتى الصين حول مستقبل الديمقراطية الليبرالية الغربية، بعد وصول زعماء وتيارات سياسية من أقصى اليمين إلى صدارة المشهد السياسي، بداية من اليونان ثم سائر أوروبا الشرقية والوسطى، مع صعود فيكتور أوربان في المجر والسلوفاكي روبرت فيكو وياروزلاف كاتشينسكي في بولندا، ثم جان

ماري لويان وحزبها في فرنسا، وصولاً إلى قلب العالم الليبرالي حيث صعود دونالد ترامب في الولايات المتحدة الأمريكية. هذا فضلاً عن تنامي شعبية كل من حزب البديل من أجل ألمانيا وحركة بيغيدا في ألمانيا.

كل هؤلاء الشعبويين يشتركون في معارضتهم للعولمة والاقتصاد الحر. وينطبق الشيء نفسه على أسس التجارة والتمويل الدوليين، ويرون أن لدى الدولة دوراً مركزياً في تصحيح الأسواق والتدخل في العملية الاقتصادية.

جاء صعود دونالد ترامب لسدة الرئاسة الأميركية مفاجئاً وصادماً للدوائر السياسية الأوروبية بشكل عام، ولمراكز الفكر والبحوث الأميركية والأوروبية بشكل خاص، كذلك تنظر معظم هذه المراكز لهذا الفوز بقلق شديد لسببين رئيسيين:

أولهما: أن صعود ترامب قد يسهم في صعود التيارات السياسية الشعبوية القومية<sup>11</sup>.

**نتيجة للبؤس الاقتصادي والاجتماعي الناتج عن هذه الأزمة المالية الحادة تحول السخط الشعبي على النظام السياسي والاقتصادي الحالي إلى الاصطفاف وراء أفكار وأحزاب شعبية انعزالية وحمائية.**

Revealed: the rise and rise of populist rhetoric. <https://www.theguardian.com/world/ng-interactive/> - 10  
2019/mar/06/revealed-the-rise-and-rise-of-populist-rhetoric

<https://bit.ly/3qFLDCH>

11 - ما وراء صعود الشعبوية؟



وثانياً: إنه قد يعني بداية النهاية للحقبة السياسية الليبرالية التي ميزت الديمقراطية الغربية منذ الحرب العالمية الثانية. يظهر هذا جلياً في مهاجمته للعديد من المنظمات والمعاهدات الدولية؛ مثل مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، والمحكمة الجنائية الدولية، وانسحابه من العديد من المنظمات والاتفاقيات الدولية.

انتقد ترامب مراراً اتفاقية التجارة الحرة لشمال أمريكا، وسمّاها «أسوأ صفقة تجارية وقعت عليها الولايات المتحدة»، عبّر ترامب كذلك عن رغبته في إنهاء اتفاقية التجارة الحرة لشمال أمريكا مع كندا والمكسيك<sup>12</sup>، وأعادت إدارته التفاوض على بنود الاتفاقية، كما هدد بالانسحاب من الاتفاقية في حال لم تنجح المفاوضات، ووصف الشراكة العابرة للمحيط الأطلسي بأنها «ضربة قاضية للصناعة الأمريكية»، وقال بأنها «تمنح الأولوية لمصالح الدول الأجنبية على حساب مصالحنا الخاصة»<sup>13</sup>.

الحرب التجارية بين الصين والولايات المتحدة بدأت بعد إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في 22 مارس من سنة 2018 عن وجود نية لفرض رسوم جمركية تبلغ 50 مليار دولار أمريكي على السلع الصينية بموجب المادة 301 من قانون التجارة لسنة 1974، التي تسرد تاريخ «الممارسات التجارية غير العادلة» وسرقات الملكية الفكرية. وكرّد انتقامي من الحكومة الصينية فقد فُرضت رسوم جمركية على أكثر من 128 منتجاً أمريكياً. أصبحت الرسوم الأمريكية على ما قيمته 34 مليار دولار من البضائع الصينية فعالة في السادس من يوليو، وقامت الصين بفعل المثل على القيمة نفسها<sup>14</sup>.

بروز أزمة منظمة التجارة العالمية: عندما يفرض بلد ما تدابير مقيدة للتجارة ضد سلع أو خدمات من بلد آخر يمكن للبلد الأخير الطعن في شرعية

<https://fortune.com/2016/09/27/presidential-debate-nafta-agreement/>

- 12

<https://time.com/4386335/donald-trump-trade-speech-transcript/>

- 13

Trump sets tariffs on \$50 billion in Chinese goods; Beijing strikes back <https://www.reuters.com/article/us-usa-trade-china-ministry/trump-sets-tariffs-on-50-billion-in-chinese-goods-beijing-strikes-back-idUSKBN1JB0KC>

- 14

الإجراءات أمام نظام تسوية المنازعات في منظمة التجارة العالمي (WTO)، وقد تمّ تصميم نظام تسوية المنازعات هذا، ليكون له هيئة ابتدائية وهيئة استئناف تعمل كمحكمة استئناف. واليوم لأكثر من أربع سنوات تعيش هيئة الاستئناف هذه في أزمة بسبب حقيقة أن الولايات المتحدة بزعماء ترامب منعت تعيين قضاة جدد بسبب سوء تدبير النزاعات، وبلغت الأزمة ذروتها في 10 ديسمبر 2019، عندما لم يتبق أمام هيئة الاستئناف سوى قاضيين اثنين، وهو ما لا يكفي للعمل وفقاً لقواعدها الخاصة.

**بروز أزمة منظمة التجارة العالمية: عندما يفرض بلد ما تدابير مقيدة للتجارة ضد سلع أو خدمات من بلد آخر يمكن للبلد الأخير الطعن في شرعية الإجراءات أمام نظام تسوية المنازعات في منظمة التجارة العالمي (WTO).**

**بالمقابل نجد تسارع ديناميكية التسطيح عبر توقيع اتفاقيات التجارة الحرة:**

في 21 مارس سنة 2017 في رواندا قام الاتحاد الأفريقي بتوقيع أحد أهم الاتفاقيات التجارية في العصر الحديث من أجل إنشاء منطقة التجارة الحرة للقارة الإفريقية (AfCFTA) بين 49 من دول الاتحاد الأفريقي البالغ عددها 55 دولة. وتعدّ هذه المنطقة التجارية الحرة هي الأكبر في العالم من حيث عدد الدول المشاركة منذ تشكيل منظمة التجارة العالمية. تقتضي

الاتفاقية مبدئياً من الأعضاء إزالة التعريفات عن 90% من السلع، مما يتيح حرية الوصول إلى السلع والخدمات عبر القارة. تقدر لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لأفريقيا أن الاتفاقية ستعزز التجارة بين البلدان الأفريقية بنسبة 52% بحلول سنة 2022. تم تعيين اقتراح حيز التنفيذ بعد 30 يوماً من المصادقة عليه من 22 دولة موقعة. في 2 أبريل 2019 أصبحت غامبيا الدولة الثانية والعشرين التي صدقت على الاتفاقية، لكي تبدأ مرحلة تشغيلها.

وفي سنة 2020 - عبر لقاء افتراضي - وقف 15 من قادة ووزراء التجارة من دول آسيا والمحيط الهادئ متحدثين، وعملوا على رفع القيود التجارية فيما بينهم، مما يؤكد التزامهم باتفاقية الشراكة الاقتصادية الإقليمية الشاملة



(RCEP) التي تعدّ أكبر اتفاقية للتجارة الحرة من حيث عدد السكان في العالم. وقد استغرق تفعيلها ثماني سنوات من المفاوضات التي شاركت فيها دول من بينها اليابان ونيوزيلندا وأستراليا إلى ميانمار. قام كل وزير في هذا اللقاء الافتراضي المشترك بتوقيع نسخة من الاتفاقية<sup>15</sup>. ستؤدي RCEP إلى إلغاء التعريفات الجمركية على 92% على الأقل من البضائع المتداولة بين الدول الـ 15 التي وقعت على RCEP.

### الفيروس التاجي وعرقلة مسلسل التسطیح

في أواخر سنة 2019م انتشر في العالم نوع جديد من الفيروسات التاجية كوفيد-19، أصاب هذا الفيروس أكثر من 48 مليون شخص، وتسبب في وفاة أكثر من مليون، والأرقام لا تزال في ارتفاع. لم يقتل هذا الفيروس حياة الناس فحسب؛ بل حصد أيضاً وظائفهم وشركاتهم وثوراتهم، باختصار، سبب أزمة اقتصادية عالمية غير مسبوقة.

لقد كشف الاضطراب الاقتصادي الناجم عن الوباء عن الكثير من الضعف في سلاسل التوريد، وأعاد إلى الواجهة الشكوك التقليدية حول ظاهرة العولمة؛ نتيجة لذلك تتعرض الشركات متعددة الجنسيات اليوم لضغوط لتغيير اعتماد سلسلة التوريد الخاصة بها على آسيا والصين على وجه الخصوص.

ذهبت مجلة The Economist في عددها الجديد إلى حدّ التساؤل عما إذا كان كوفيد-19 سيكون نهاية العولمة كما عرفناها. ستعاني التجارة عندما تتخلى البلدان عن فكرة معاملة الشركات والسلع على قدم المساواة بغض النظر عن مصدرها. تطلب الحكومات والبنوك المركزية من دافعي الضرائب ضمان سندات الشركات الوطنية من خلال حزم التحفيز، مما يخلق حافزاً ضخماً ومستمرّاً لتفضيلها على الشركات الخارجية، ويتسارع الضغط لإعادة سلاسل التوريد إلى الوطن باسم المرونة؛ لأن الجائحة عطلت سلاسل التوريد العالمية. ونتيجة للرقمنة والاعتماد على الذكاء الاصطناعي ستتمكن الشركات

<https://www.channelnewsasia.com/news/business/rcep-trade-pact-asean-summit-singapore-china-13534960>

العابرة للقارات من إعادة مصانعها إلى أرض الوطن، وتشغيل مَنْ هناك، وخفض اعتمادها على المصانع كثيفة العمالة في الدول النامية<sup>16</sup>.

مع إعادة فتح الاقتصادات سيتعافى النشاط الاقتصادي؛ لكن لا يُتوقع أن تكون هناك عودة سريعة إلى عالم خالٍ من الحواجز والتجارة الحرة. سيؤدي الوباء إلى تسييس السفر والهجرة، وترسيخ التحيز نحو الاعتماد على الإنتاج المحلي والاكتفاء الذاتي.

وكان من نتائج انتشار الفيروس التاجي بروز شكوك مزدادة حول جدوى العولمة؛ فقد استاء الأفراد عندما أدركوا - في ظل هذه الجائحة - أن صحتهم تعتمد على الصراع من أجل استيراد معدات طبية للحماية، وعلى العمال المهاجرين الذين يعملون في دور الرعاية. تزداد اليوم الضغوط بسبب جائحة كورونا من أجل إعادة سلاسل التوريد إلى الوطن باسم المرونة في التعامل مع الأزمات<sup>17</sup>.

**كان من نتائج انتشار  
الفيروس التاجي بروز  
شكوك مزدادة حول  
جدوى العولمة؛ فقد  
استاء الأفراد عندما أدركوا  
- في ظل هذه الجائحة -  
أن صحتهم تعتمد على  
الصراع من أجل استيراد  
معدات طبية للحماية.**

في 12 مايو 2020 أخبر ناريندرا مودي - رئيس وزراء الهند - الأمة أن حقبة جديدة من الاكتفاء الذاتي اقتصادياً قد بدأت. شمل التحفيز الياباني لمواجهة فيروس كوفيد-19 إعانات للشركات التي تعيد المصانع إلى

الوطن. يتحدث مسؤولو الاتحاد الأوروبي عن «الحكم الذاتي الاستراتيجي»، ويقومون بإنشاء صندوق لشراء حصص في الشركات الوطنية. أمريكا تحث شركاتها على بناء مصانع في أمريكا والتوقف على الاعتماد على الخارج<sup>18</sup>. ما يمثل إسفيناً جديداً في نعش العولمة، وحتمية ظاهرة التسطيح، وأحد أهم الانتقادات الموجهة لها.

<https://www.economist.com/leaders/2020/05/14/has-covid-19-killed-globalisation> - 16

<https://www.weforum.org/agenda/2020/03/globalization-coronavirus-covid19-epidemic-change-economic-political> - 17

<https://www.economist.com/leaders/2020/05/14/has-covid-19-killed-globalisation> - 18



## 5) ... الانتقادات الموجهة: ظاهرة التسطيح في مواجهة الأرقام والبيانات الاقتصادية واضطراب مسلسل العولمة

تُظهر البيانات الاقتصادية أن العالم لا يزال بعيداً عن التسطيح كما يتصوره توماس فريدمان، وأنه قام بتضخيم الموضوع، وإعطائه أكثر من حجمه.

على الرغم من تصاعد الزخم القوي للعولمة في مواجهة رياح النفرات الوطنية والانعزالية؛ يبقى مسلسل الانفتاح وتكامل الأسواق محدوداً من حيث القيمة المطلقة. تولد العمليات الأجنبية للشركات متعددة الجنسيات حول العالم حوالي 9% فقط من الإنتاج العالمي، وتضيف صادرات السلع والخدمات ما يصل إلى 29% من الناتج المحلي الإجمالي العالمي، ولكن حتى هذا الرقم ينخفض إلى حوالي 20% إذا حذفنا العدّ المزدوج للمنتجات المتداولة عالمياً<sup>19</sup>.

كما استمرت التجارة في النمو، ولكن بوتيرة أبطأ، بينما انخفضت تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر بشكل كبير. وفقاً لمنظمة التجارة العالمية لم تعد التجارة العالمية تقود النمو العالمي كما كان عليه الحال سابقاً. لقد نمت التجارة العالمية في سنة 2016 بنسبة 1.7% فقط، مما جعل النمو الاقتصادي العالمي متباطئاً لأول مرة منذ 15 سنة وللمرة الثانية فقط منذ سنة 1982، ومن المتوقع أن نشهد تباطؤاً أكثر في السنوات المقبلة. سيكون لانخفاض التجارة العالمية، والإقراض عبر الحدود والاستثمار الأجنبي المباشر، والزيادة في التدابير الحمائية مجتمعة آثار عميقة على التدفقات العالمية عبر الحدود.

أضف إلى ذلك تراجع أكبر 5000 شركة متعددة الجنسيات عن الاستثمار المباشر وعمليات الاستحواذ الخارجية؛ نتيجة لبيئة عدم اليقين السياسي والحواجز الحمائية المزدادة في السنوات الأخيرة. وجدت منظمة Global

<https://foreignpolicy.com/2009/10/14/why-the-world-isnt-flat/>

Trade Alert أن الإجراءات الحمائية ارتفعت من الصفر تقريباً في سنة 2008 إلى أكثر من 6300 إجراء مقيد للتجارة في سنة 2016<sup>20</sup>.

وفقاً لتقرير صادر عن مبادرة Re-shoring في الولايات المتحدة، فقد توقف نزيه وظائف التصنيع إلى البلدان الأخرى؛ حيث شهدت الولايات المتحدة عودة ما مجموعه 249 ألف وظيفة تصنيعية إلى الوطن من الخارج بين سنتي 2010 و2015.

مع إعادة فتح الاقتصادات بعد التغلب على جائحة الفيروس التاجي قد يتعافى النشاط الاقتصادي؛ لكن لا يُتوقع أن تكون هناك عودة سريعة إلى عالم خالٍ من الحواجز والتجارة الحرة. سيؤدي الوباء إلى تسييس السفر والهجرة، وترسيخ التحيز نحو الاعتماد على الإنتاج المحلي والاكتفاء الذاتي.

**استمرت التجارة في النمو، ولكن بوتيرة أبطأ، بينما انخفضت تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر بشكل كبير. وفقاً لمنظمة التجارة العالمية لم تعد التجارة العالمية تقود النمو العالمي كما كان عليه الحال سابقاً.**

توضح جلياً هذه الأرقام أننا بعيدون جداً عن نظرية العالم المسطح، الذي أشار إليه توماس فريدمان؛ لقد سقط فريدمان في فخ التضخيم والمبالغة على شاكله الانحيازات المعرفية والمبالغيات التي يسقط فيها عددٌ من الأفراد في هذا المجال؛ فقد قامت مجلة هارفارد بزنس ريفيو بطرح استطلاع عن العلاقة بين توقعات الناس والأرقام الحقيقية

للعولمة، وكان هناك من يتوقع رقماً أكبر بـ 40 مرة من الأرقام والبيانات الواقعية. إن لدى الأفراد ميلاً نحو المبالغة، وهو ما يصطلح عليه بالعولمة الوهمية Globaloney؛ أي الفرق بين توقعات الناس وبين الأرقام الحقيقية، وأحد أسبابه يتمثل في قلة البيانات حول هذا الموضوع<sup>21</sup>. وهو أحد أهم المطبات التي وقع فيها توماس فريدمان لعدم اعتماده في كتابه على أي بيانات لتعزيز طرحه وتأكيده.

<https://www.eria.org/news-and-views/the-rise-of-anti-globalisation-and-its-impact-in-asia/> - 20

[https://www.ted.com/talks/pankaj\\_ghemawat\\_actually\\_the\\_world\\_isn\\_t\\_flat?language=en](https://www.ted.com/talks/pankaj_ghemawat_actually_the_world_isn_t_flat?language=en) - 21



## خاتمة:

إن التنبؤات القائلة بانتهاء العولمة في ظل صعود موجة من القومية الاقتصادية أثبتت أنها ليست أكثر دقة من التصريحات عن عالم مسطح، التي هيمنت على الفكر السياسي والاقتصادي في العقود الأخيرة. يوضح مؤشر الترابط العالمي الجديد DHL أن العالم أصبح أكثر عولمة من أي وقت مضى في سنة 2017<sup>22</sup>؛ ولكن وفي المقابل اتسمت سنة 2018 ببيروز عقبات واضطرابات جديدة؛ من صعود الانعزالية ومحاربة الهجرة إلى الرسوم الجمركية والحروب التجارية، إلى العوائق المالية والتجارية، وفي غضون سنوات قليلة تغيرت قواعد اللعبة من تسطيح إلى اضطراب بشكلٍ سريع.

هل العالم مسطح أم مضطرب؟ ليس من السهل الإجابة عن هذا السؤال، لا يمكننا أن نتوقع بثقة ما إذا كانت السنوات القادمة ستأتي بمستوى أعلى أو أدنى من العولمة؛ لكن يمكننا أن نقول بثقة: إن التدفقات الدولية والقيود التي تفرضها الحدود والمسافات ستظل مهمةً ومتقلبة على حدٍ سواء، متأرجحة بين مدّ فينة وجزر فينة أخرى. إن العالم لم يدخل في مرحلة نهاية التاريخ كما هلل لذلك فرانسيس فوكوياما، أو إلى حتمية تسونامي التسطيح كما يحاول توماس فريدمان أن يصوره لنا. لم يتمّ حسم أي شيء بعد، هناك ديناميكيات في اتجاه التسطيح، كما أن هناك ديناميكيات أخرى تسير في اتجاه الاضطراب.